القاضي، فأبى أن يركبها، وركب حمارَه إلى دمشق [قال ابن عساكر: قرأ القرآن على أبي الحسن ابن الأخرم، وقرأ عليه أبو الحسن الربعي،] وكان يسكن بالمنارة الشرقية من جامع دمشق، ويُصلِّي بالناس احتساباً بغير أجرة، ولا يقبل هديةَ أحد، وكانت له أرضٌ يسيرةٌ بداريا يزرعُها بيده، ويتولَّاها بنفسه، ويطحن دقيقَها بيده، ويخبزه بيده، ويتقوَّت به، وكانت وفاتُه في جمادى الأولى بدمشق، ودُفِنَ بالباب الصغير عند أبي الدرداء.

محمد بن أحمد بن محمد[1]

أبو الحسين، الصَّيداوي، الغسَّاني، ويُعرف بابن جُميع، طاف الدنيا، وكان زاهداً متعبِّداً، قام الليل - وله ثماني عشرة سنة ـ إلى أن ماتَ وهو ابن سبع وتسعين سنة بصيدا، وأجمعوا على صدقه وثقته.

السنة الثالثة وأربع مئة

فيها في يوم الجمعة سادس عشر مُحرَّم قُلِّد الراضي أبو الحسن الموسوي نقابة الطالبيين في سائر الممالك، وورد له عهدٌ من بهاء الدولة من أَرَّجان، وقُرِئ في دار فخر الملك بمحضرٍ من القضاةِ والفُقهاءِ والأماثِل ووُجوهِ الدَّيلمِ والأتراك. وقيل: إنه خُلِعَ عليه خِلْعةٌ سوداءُ، وهو أولُ طالبيٍّ خُلِعَ عليه السَّواد.

وفيها خرج فخر الملك إلى النَّهْروان، وكان قد انفتح بَثْقُ اليهودي، فكادتِ البلادُ تغرق، فبات ساهراً طول ليلتِه، وحمل التراب والقصب على رأسه حتى أحكمه، وجرى الماء مجراه بالنَّهروان، فغَلَّتِ البلادُ في هذه السنة بضعةَ عشر ألف كُرٍّ[2]، وخمسين ألف دينار.

[وفيها] ورد الخبر بأنَّ أبا فُليتة [بن القوي] سبق الحاجَّ إلى واقصة في ست مئة رجل من بني خفاجة، فَنَزَح الماء من مصانع البرمكي والريان، وغوَّرها، وطرح الحنظل في الآبار، وأقام يرصدهم، فلمَّا وردوا العقبة في يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلةً خلَتْ من

(١) تنظر مصادر الترجمة في السير ١٧/ ١٥٢.

(٢) الكُرّ: ما يقارب ١٥٨٣ كغ، وقد تقدم.

صفر اعتقلهم هناك، ومنعهم من المسير، وطالبَهم بخمسين ألف دينار، فامتنعوا، فهجم عليهم وقد أجهدَهم العطشُ، ولم يكن لهم قوةُ الدفع، فاحتوى على الجمال والأحمال والأموال، وهلك [من] الناس [الكثير] [١]، ولم يُفْلِتْ إلا العدد اليسير، وأفلت أبو الحارث العلوي في أسوأِ حالٍ، وكان فخر الملك مقيماً على سدِّ البَثْق، فقامت عليه القيامة، وكتب إلى أبي الحسن علي بن مَزْيَد بأن يطلب العرب الذين فعلوا هذا، وإلا سيأتي[٢] بنفسه، وبعث إلى بغداد فأخرج[٣] بعضَ الغلمان إلى ابن مَزْيَد، وساروا حتى لحقوا القوم وقد قاربوا البصرة، فأوقع بهم، وقتَلَ أكثرَهم، وأسر الباقين، وفيهم أبو فُليتة، والأشتر، ووجوه بني خفاجة[٤]، ووجدوا الأحمال والأموال[٥] قد تمزَّقت،]وأخذ كلُّ فريق ما أمكنَه[فانتزع ما أمكَنَ انتزاعُه، وعاد إلى الكوفة، وبعث بهم إلى بغداد، فأُدخلوا على الجمال [و] قد أشهروا وثقلوا بالحديد، وقيل: اجتمع منهم جماعةٌ، وأُطْعِموا السمكَ المالح، وتُركوا على جانب دِجلة، فشاهدوا الماء حسرةً، وماتوا عطشاً، وأوقع أبو الحسن ابن مَزْيد بخفاجة بعد سنين، فوجد عندهم من الحاجِّ جماعةً [كانوا] قد جعلوهم رعاةً لإبلِهم وأغنامهم، فاستنقذهم[٦]، فعادوا إلى بغداد وقد قُسمت أموالُهم ونُكحتْ نساؤهم.

وفيها انقضَّتْ كواكبُ كبيرةٌ عظيمةٌ [واستعظم الناسُ ذلك وكان] لها ضياءٌ عظيمٌ، وأصواتٌ مثلُ الرعد[٧].

وفيها جلس الخليفة للْخَلْع على أبي نصر بن مروان، وحضر القُضاةُ والأشرافُ وغيرُهم، وكانت سبعَ خِلَعٍ، وعِمامةً سوداء، وطوقاً، وسوارين، وفرساً بمركب ذهب.

(١) هذه الزيادة من المنتظم.

(٢) في (م) و (م١): سار.

(٣) في (م) و (م١): فطلب.

(٤) بعدها في (م) و (م١) زيادة كلمة غير واضحة.

(٥) المثبت من المنتظم، وفي تاريخ الإسلام ٩/ ١٣: الأموال والأحمال، وفي (م) و (م١): الأحمال والجمال، وفي (خ): الأموال والجمال.

(٦) في: (م) و(م١) فاستقدمهم .

(٧) من بداية أحداث هذه السنة إلى هنا من المنتظم ١٥/ ٨٩ ـ ٩١ بنحوه.

ولقَّبه نُصرةَ الدولة، وخرج مع الخِلَعِ خادمان من دار الخليفة، ومحمدُ بن أحمد ابن مَزْيَد حاجبُ فخر الملك، وكان فخرُ الملك لمَّا ورد بغداد خدمه أبو نصر وهاداه ولاطفه وأطاعه، فنُسِبَتْ له في ذلك، ويقال: إن الخِلَع كانت من خزانة فخر الملك وماله.

[وفي جمادى الآخرة تُوفِّي بهاء الدولة بن عضد الدولة بأَرَّجان].

وفي شوَّال وقعت فتنةٌ عظيمةٌ ببغداد [لم يَجْرِ مثلُها]، وسببُها أنه توفِّيت بنت أبي نوح الطبيب الأهوازي النصراني زوجةُ أبي نصر بن إسرائيل النصراني كاتب[1] المناصح أبي الهيجاء الجُرجاني، وأُخرجت جنازتُها نهاراً، ومعها النوائح والطُّبول والزُّمور والرُّهبان والصُّلبان والشُّموع، فقام رجلٌ هاشميٌّ من محلة الحضريين [عند مشهد أبي حنيفة] فرجم الجنازة ولعنها، فعمد بعضُ غلمان المناصح [الذين كانوا مع الجنازة]، فضرب الهاشميَّ بدبُّوسٍ فشجَّه، وجرَتْ دماؤه، واجتمع الناسُ، وهرب النصارى بالجنازة إلى البِيْعة بدار الروم، وتَبِعَهم المسلمون، ونهبوا البِيْعة وأكثرَ دور النصارى المجاورةِ لها، وعاد ابن إسرائيل إلى داره، فهجموا عليه، فهرب، وحضر صاحب الشرطة فحمى داره، وهرب [به] إلى دار المناصح، وثارت الفتنةُ بين العامَّة وغلمانِ المناصح، وغُلِّقتِ الأسواقُ والجوامعُ، ورُفعتِ المصاحفُ على القصب، وقصد الناس دارَ الخليفة على سبيل الاستنفار، فأرسل الخليفةُ يُنكر على المناصح ما جرى، وبالتماس ابن إسرائيل وتسليمه، فامتنع المناصح من ذلك، فغاظ الخليفةَ، فتقدَّم بإصلاح الطيَّار ليخرج عن البلد، وجمع الهاشميين إلى داره، وجاءت العامَّةُ إلى دار المناصح، فدفعهم غلمانُه ومَنْ كان بها من الأتراك، وقُتِلَ رجلٌ ـ وقيل: إنه علويٌّ ـ فزادتِ الشناعة، وتفاقم الأمرُ، وامتنع الناس من صلاة الجمعة، وقتلت العامَّةُ جماعةً من النصارى، وتردَّدتِ الرسائلُ إلى المناصح، حتى حُمِلَ ابنُ إسرائيل إلى دار الخليفة فحُبِس بها، وأُلزم أهلُ الذمَّة الغيار، وأُخرِج ابنُ إسرائيل بعد أيام، وانبسط النصارى بعد ما انقبضوا، [وأمِنوا بعدما خافوا].

---

(١) بعدها في (م) و (م١) زيادة: أبي.

وفيها أنفذ محمود بن سُبُكْتِكين إلى القادر كتاباً ورد إليه من الحاكم على يد الباهر يدعوه إلى طاعته، وقد خَرَّقه وبصق في وسطه.

وفيها ورد الحاجُّ من خراسان، فمُنعوا لفسادٍ [في] الطريق[١]، وبطل الحجُّ في هذه السنة[٢].

وفيها ورد على القادر كتابُ محمود بن سُبُكْتِكين يذكر وقعةً جرَتْ بينه وبين الكفار[٣]، وأنه نُصِرَ عليهم، واستباح عسكرَهم، وغَنِمَ غنائمَ لم يغْنَمْها أحدٌ قبلَه.

وفيها خلعَ القادرُ على أبي الحسن بن مَزْيَد، وهو أول من تقدَّم من أهل بيته[٤].

وفيها تُوفِّي

أحمد بن علي[٥]

أبو الحسن، الكاتب، البَتِّي، كاتب القادر، وكان معه بالبَطيحَة طولَ مُقامه، وولَّاه البريدَ والأخبار، وكان ظريفاً فصيحاً، كثيرَ النوادر [والمُلَح]، انحدر من بغداد في سفينته مع الرضي والمرتضى إلى واسط ليلقى بعض الملوك، فخرج عليهم قُطَّاع الطريق، فرمَوهم بالمقاليع والحذافات، وصاحوا عليهم: تقدَّموا يا أزواج القِحاب. فقال البَتِّي: ما خرجوا علينا إلا بعينٍ. فقالوا: من أينَ علمْتَ؟ قال: فمِنْ أين علموا أنَّا أزواجُ قِحاب. فتضاحك القوم.

و[قال الخطيب]: وكان شاعراً، قال له بهاء الدولة: اكتُبْ إلي أبياتاً تكتبها بعضُ الجواري على تكة. فأملى عليه بديهاً: [من مجزوء الكامل]

لِمَ لا أتيهُ ومَضْجعي ... بينَ الرَّوادفِ والخُصورْ
وإذا نُسِجْتُ فإنَّني ... بينَ التَّرائبِ والنُّحورْ
ولقَدْ نشأتُ صغيرةً ... بأكُفِّ ربَّاتِ الخدورْ

(١) المثبت من (م) والمنتظم، وما بين حاصرتين منه، وجاءت العبارة في (خ) و (م١) غير مستقيمة.
(٢) هذا الخبر والذي قبله في المنتظم ١٥/ ٩١ ـ ٩٢.
(٣) في (خ): الجابية. والمثبت من المنتظم ١٥/ ٨٥، وتلك الغزوة كانت في بلاد الهند.
(٤) المنتظم ١٥/ ٩٢.
(٥) تاريخ بغداد ٤/ ٣٢٠، والمنتظم ١٥/ ٩٣، ومعجم الأدباء ٣/ ٢٥٤ ـ ٢٧٠.

وكانت وفاتُه في شعبان ببغداد [وقال الخطيب: حدَّث البَتِّي عن أبي بكر بن مِقْسَم المقرئ وغيره]، وكان [البَتِّي] حافظاً للقرآن، تالياً له، [متقناً، عارفاً بأحكامه].

[وفيها تُوفِّي]

الحسن[١] بن حامد

ابن علي بن مروان، أبو عبد الله، الحنبلي، الورَّاق، كان مدرسَ الحنابلة ببغداد وفقيهَهم، وله مصنفات منها: كتاب «الجامع» أربع مئة جزء، ويشتمل على اختلاف الفقهاء، و[له] مصنفات في أصول الدين والفروع، وهو شيخ القاضي أبي يعلى ابن الفرَّاء، وكان مُعظَّماً في النفوس، مُقدَّماً عند السُّلطان والعامَّة، وكان ينسخ بالأجرة، ويتقوَّتُ منه، خرج في هذه السنة إلى مكة، فجرى على الحاجِّ ما ذكرناه، فاستند إلى حجرٍ، فجاءه رجل بقليل ماء وقد أشفى[٢] على التلف، فقال: من أين هذا؟ فقال له الرجل: ما هذا وقته. قال: بلى هذا وقته عند لقاء الله تعالى. وتوفي بقرب واقصة.

وأخرج له الخطيب حديثاً مسنداً عن أنس (رضي الله عنه)، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «كفَّارةُ الاغتياب أن تستغْفِرَ الله لِمَن اغتَبْتَه». قلت: وهذا محمولٌ على حالة النسيان.

فيروز أبو نصر[٣]

بهاء الدولة بن عضد الدولة، وقيل: اسمه خاشاد، وهو الذي قبض على الطائع، وقطع أذنه، وفعل به ما فعل، من نَهْبِ داره، وإزالةِ الخلافة عنه، وكان ظالماً غشوماً، سفَّاكاً للدماء، فكان خواصُّه يهربون من قُربه، وجمع من المال ما لم يجمَعْه أحدٌ، وصادر الناسَ، وكان يبخل بالدرهم، وينظر فيه ويستكثره، ولم يكن في بني بُوَيْه أظلمَ منه ولا أقبحَ سيرةً، وكان يُصرَعُ في دَسْته، ورِثَ ذلك عن أبيه، وكانت وفاتُه بجرجان بعلة الصَّرَع، وتقارب أدواره، وكانت معه هذه العلَّة لازمته، ولم يَحْتمِ من النبيذ ويُكثرُ

---

(١) تحرف في (خ) إلى الحسين، والمثبت من (م) و (م١) ومصادر ترجمته: تاريخ بغداد ٧/ ٣٠٣، والمنتظم ١٥/ ٩٤، ومناقب الإمام أحمد ص ٦٢٥، وطبقات الحنابلة ٢/ ١٧١ ـ ١٧٧. وينظر السير ١٨/ ٢٠٣.

(٢) في (م) و(م١): أشرف، وكلاهما بمعنى.

(٣) ينظر المنتظم ١٥/ ٩٥.

من شُربه ليلاً ونهاراً، ويكثر التخليط، و[كانت] إمارتُه أربعاً وعشرين سنةً وتسعةَ أشهر، وحُمِلَ من أَرَّجان إلى الكوفة، فدُفن عند أبيه، وكان ورد كتابُه على فخر الملك أنه قد عهد إلى ولده أبي شجاع، وأقامَه مقامَه، وأن يأخُذَ له البيعة، فجمع الدَّيلم وغيرهم، وقرأه عليهم، ثم أظهر وفاتَه.

وقال نصر بن الحسين بن الصقر المعني وكان خِصِّيصاً ببهاء الدولة: لمَّا اشتدَّت العِلَّةُ به وقلَّتْ حركتُه دعاني وقال: قد عرفتَ ميلي إليك، وعنايتي بك، وأريد أن تتولَّى خدمتي ولا تفارقني. فقلت: سمعاً وطاعةً. فلازمتُه والصرعُ يعتريه، فانحلَّت قُواه وسقطت، ولمَّا كان يومُ وفاتِه أُغمي عليه وأسكت، ودخل أبو الخطاب حمزةُ ابن إبراهيم وكان يدخل عليه بكرةً كلَّ يوم وبيده قدحُ ماء الشعير، فيسقيه ثم يخرج ولا يعود إلى مثل ذلك الوقت، فلمَّا رآني حارَ ودَهِشَ وما كان يكلِّمني قبل ذلك؛ لحقارتي عنده، فقال لي: يا حاجب، ما ترى ما نحن فيه ما بقي أحدٌ من أصحاب هذا الملك إلَّا وقد أعدَّ لنفسه مِن حَدَثِ حادثة جِهةً يهرب إليها سواي، وقد عزمتُ على إحضار الأميرين أبي شجاع وأبي طاهر وأُسْلِم إليهما الأمرَ والخزائنَ والعساكرَ بما أوصى إليَّ فيهما. ثم بكى، ففتح بهاء الدولة عينه كالمُنكِرِ لذلك، فقام أبو الخطاب وخرج، ودمعَتْ عينُ بهاء الدولة، ورُوسِلَ أبو طاهر بالحضور لسماع وصيته فامتنع، فأظهروا أنه أوصى إلى ولده أبي شجاع، فأنكر ذلك أبو طاهر، وقصد دار المملكة، وأراد أن يدخل من بعض أبوابها، فدفعوه عنه، وقال له خواصُّ أبيه: أخوكَ أبو شجاع أكبرُ منك، وقد أوصى إليه أبوك. فقال: أمَّا سِنُّه فما بيني وبينه إلا شهور، وأمَّا وصية أبي إليه فما هو صحيح، فحلفوا له عليها، واتَّفقوا على أن يُفرِدوه بالبصرة وأعمالها، وأن يُعطوه مالاً وثياباً ودوابَّ، فرضي.

وأُخرِجَ تابوتُ بهاء الدولة وصُلِّي عليه، وبُعِثَ مع أبي منصور مردوست إلى الكوفة، وجلس فخر الملك ببغداد للعزاء في دار المملكة ثلاثةَ أيام، ولبس السَّواد، وفعل الجند والكُتَّاب كذلك، وراسل الخليفةَ في إقامة الخطبة لأبي شجاع، فتوقَّف، ثم أذن، وقال الخطيب: اللهمَّ وأصْلِحِ الملِكَ السيدَ الأجلَّ أبا شجاع، مولى أمير المؤمنين، وارحَمِ الملِكَ بهاء الدولة. وكتب إلى البلاد بذلك على رسم بهاء الدولة،

وخرج فخرُ الملك والدولة إلى النُّعمانية يتلقَّون التابوت، وكتب فخرُ الملك إلى أبي شجاع وأبي الخطَّاب وأبي المِسْك الأبتر بالتعزية، وحمل مالِ البيعة، وكانوا بأَرَّجان، ولمَّا وصلوا النُّعمانية تلقَّاهم التابوت في زَبْزَب بهاء الدولة، فلمَّا رأَوه تلقَّوه حُفاةً حاسرين يبكون ويضعون التراب على رؤوسهم، ويُقبِّلون له الأرض، ونُقِلَ التابوتُ إلى مسجد هناك، وتُرِكَ فيه، وليس عنده غير فراش واحد، وما التفتوا إليه بعد ذلك، فسبحان الذي لا ملك إلا ملكه.

وورد أبو الحسن علي بن مَزْيَد وسار مع أبي منصور مردوست والتابوت إلى الكوفة، فوصلوا المشهد يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة بَقِيَتْ من رجب، ووصل فخر الملك واسط، فطالبه الأولياء بمال البيعة، فقال: لكم أسوةٌ فيَّ وبمن معي وبمن ببغداد، وسوف يُحمل إليكم. وسار إلى الأهواز، وطالبه الجندُ بمال البيعة، فقال: في خزانة أَرَّجان، إلا صبابة يسيرة، وسوف أبعث إلى شيراز، وأُنزِلُ من القلعة المالَ، وبلغ الدَّيلَم، فشَغَبوا وقصدوا فخرَ الملك، فردَّهم غلمانُه، وضرب لهم أجلاً، وبعث إلى أبي شجاع وهو بشيراز يطلب المال، فبعث إليه بخمسين ألف دينار وخمس مئة ألف درهم، وإلى القادر عشرة آلاف دينار وثلاثين بدرة وَرِقاً وثلاثين ألفَ درهم لابن حاجب النعمان والحاشية، وصندوقين مملوءَين مِسْكاً وعنبراً وكافوراً وعوداً، ففرَّق فخرُ الملك المالَ بواسط، ونزل إلى بغداد، فلم يبْقَ أحدٌ إلَّا أعطاه، واستقرَّتِ الأمورُ، وطابت قلوب الجند، واستدان فخرُ الملك مئةً وخمسين ألف دينار أخرى، وفرَّق الجميع.

قابوس بن وَشْمِكِيْر[1]

شمسُ المعالي، أميرُ الجبال ونيسابور وغيرِها، كان بعدَ لينِ الجانبِ وسماحةِ الخُلُقِ قد استعمل السَّطوةَ، وقتلَ جماعةً من خواصِّه وحُجَّابِه، ففسدتِ القلوبُ عنه، وتوازرَ ستةُ نفرٍ من أصحابه على التدبير عليه، فقصدوا ابنَه منوجهر، وقالوا: مِنْ حقِّكَ علينا أن ننصحَ لك ونخرجَ إليك بسرِّ العسكر في أبيك، وقد أجمعوا على الفتكِ به أو القبضِ عليه؛ لما قد أنكروه من سوء سيرتِه وقُبْحِ معاملته، ومتى لم يُتدارَكِ الأمرُ بأن

(١) المنتظم ١٥/ ٩٥، ومعجم الأدباء ٢١٩ ـ ٢٣٣، ويتيمة الدهر ٤/ ٦٧ ـ ٧٠.

تكون الداخلَ فيه، وإلَّا خلطوك معه، وخرج المُلْكُ عنكم، والرأيُ أن تتولَّى القبضَ عليه، فأجابَهم وشكرَهم ووعدَهم المساعدةَ عليه، فقَبَضَ على أبيه، وحمَلَه إلى القلعة، واستمال الجُندَ وأرضاهم ووصلَهم، فطالبوه بقتل أبيه، وقالوا: قد أوحشناه نحنُ وأنتَ، وفي إبقائه خطرٌ علينا وعليك، فإنَّا لا نأمن أن يتمَّ علينا ما تمَّ لبدر بن حسنويه مع هِلال ابنه، فنندم حيث لا ينفع الندم، فصَعِد إلى القلعة، فوجد أباه قد دخل الخلاء وعليه ثوبٌ واحد، فأخذ جميعَ ما كان في البيت، وخرج أبوه فجعل يصيح: البردَ البردَ، أعطوني جلَّ دابةٍ. فما أعطاه شيئاً، فمات من البرد، ثم إن منوجهر قتل خمسةً من الذين أشاروا عليه بقتل أبيه، وهرب واحدٌ إلى خُراسان، فكتب منوجهر إلى محمود بن سُبُكْتِكين يطلبُه، فبعث إليه وقال: إنما أسلمتُه لئلَّا يطمع أحدٌ في الملوك ويُقدِمَ هذا الإقدام. فقتلَه، وكان قابوسُ مضطلعاً بكثير من العلوم والآداب، مولَعاً بأحكام النجوم. وقيل: إنه حكم لنفسه أن منيَّتَه على يدِ ولده، وكان له أولادٌ، أليَنُهم جانباً، وأشدُّهم به برًّا منوجهر، فكان يؤثِرُه ويُدنيه. وأخشنُهم ملمَساً، وأكثرُهم عقوقاً، وأعظمُهم جرأةً وإقداماً دارا، فكان يكرهُه ويُغضِبُه، ويهمُّ مراراً بالقبض عليه، وأحسَّ دارا، ففارقه ومضى إلى خراسان، واختلط بخَواصِّ محمود بن سُبُكْتِكين وندمائه إلى أن مات عنده، فكانت منيَّةُ قابوس على يد منوجهر.

ومن نظم قابوس: [من الكامل]

خَطَراتُ ذِكْرِكَ تستثيرُ مودَّتي ... فأُحِسُّ منها في الفؤادِ دبيبا

لا عضوَ لي إلَّا وفيه صبابةٌ ... فكأنَّ أعضائي خُلِقْنَ قلوبا

ومن نثره: واللهُ يُمْتعُه بالفضل الذي استعلى على عاتِقِه وغاربِه، واستولى على مشارِقِه ومغاربِه.

وقال: الكريمُ إذا ضمن لم يُخلِفْ، وإذا نهضَ لفضيلةٍ لم يقِفْ، وما دام هو للفرصة مرصداً، ولإنجاز ما نواه معتقداً، كان الرَّجاءُ كنَورٍ في كِمام، ونورٍ في ظلام، ولا بُدَّ للنَّور أن ينفتح، وللنُّور أن يتوضَّح.

وزار صديقاً له، فوجده سكرانَ، فكتب عند رأسه:

رُحْنا إليكَ وقد راحَتْ بكَ الرَّاحُ

[وفيها تُوفِّي]

محمد بن محمد[١]

ابن عمر، العلوي، أبو الحارث، نقيبُ الطالبيين بالكوفة، [و] كان شجاعاً، جواداً، ديِّناً، رئيساً، وكانت إليه النقابة مع تسيير الحاجِّ، فحجَّ بالناس عشر سنين، فكان يُنفِقُ عليهم من ماله، ويحمل المنقطعين، ويؤدي الخفارة للعرب من ماله، وكانت وفاته بالكوفة في جمادى الأولى.

محمد بن الطيب[٢]

ابن محمد، أبو بكر، الباقلاني، القاضي، المتكلِّم على مذهب الأشعري، من أهل البصرة، وسكن بغداد، وسمع الحديث الكثير، وكان ثقةً، فأمَّا علم الكلام فكان أعرفَ الناس به، وأحسنَهم خاطراً، وأجودَهم لساناً، وأوضحَهم بياناً، وله التصانيف الكثيرة في الردِّ على الرافضة والمعتزلة والجَهْمية والخوارج وغيرهم.

وجاء يوماً إلى حلقة ابن المُعلِّم فقيهِ الشِّيعة، فقال ابن المُعلِّم لأصحابه: قد جاءكم شيطانٌ. وسمعه ابن الباقلاني، فقرأ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: ٨٣].

وبعثه عضد الدولة في رسالةٍ إلى الروم، فقال عظيم الروم: هذا عظيمٌ في المسلمين، فلا يُقبِّل الأرضَ بين يديَّ. فاحْتالَ بأن صنعَ باباً قصيراً بين يَدي سريره ليدخل فيه شبيهَ الراكع، فلمَّا نظر إليه القاضي ولَّاه ظهرَه ودخل، فلمَّا وقف قائماً استقبل الملك، وأدار وجهه إليه، فعَظُم في عينه.

وكان إذا صلَّى العشاء الآخرة وفرغ من ورده كتب من حفظه خمساً وثلاثين ورقةً تصنيفاً، وماكان ينقل من كتاب أحدٍ، وكان جواداً مُمدَّحاً، مدحه علي بن عيسى بن سُكَّرة بأبيات منها: [من الكامل]

---

(١) المنتظم ١٥/ ٩٥.

(٢) تاريخ بغداد ٥/ ٣٧٨ ـ ٣٨٣، وتبيين كذب المفتري ص٢١٧ ـ ٢٢٦، والمنتظم ١٥/ ٩٦. وينظر السير ١٧/ ١٩٠.

يا عُتْبُ هل لتعتُّبي من مُعْتِبِ أم هَلْ لديكِ لراغبٍ من مُرْغِبِ
ملكَتْ مَحَبَّاتِ القلوبِ ببهجةٍ مخلوقةٍ من عفَّةٍ وتَحبُّبِ
فكأنَّها من حيثُ ما قابلتُها شِيَمُ الإمامِ محمدِ بنِ الطَّيِّبِ

وكانت وفاتُه ببغداد يوم السبت لسبع بقين من ذي القَعدة، ودُفن بداره بدرب المجوس، ثم نُقِلَ إلى مقابر الإمام أحمد رحمة الله عليه، فكانت الحنابلة إذا مرَّت بقبره تقول: تُرى هذه الصداقةُ من أين؟.

محمد بن موسى[1]

ابن محمد، أبو بكر، الخُوارَزمي، إمام الحنفية، انتهت إليه رياستهم، وكان مُعظَّماً عند الخلفاء والملوك، من تلامذته: الرضيُّ الشريف، والقاضي الصَّيْمَري. وقال أبو بكر البَرْقاني: سمعتُه يقول: دينُنا دينُ العجائز، ولسنا من الكلام في شيء. وكان له إمامٌ حنبليٌّ، وما شهد الناسُ مثلَه في حُسن الفتوى والإصابة فيها، ودُعِيَ مراراً إلى ولاية الحكم، فامتنع، وتُوفِّي ليلة الجمعة الثامن عشر من جمادى الأولى، ودُفِنَ في منزله بدرب عبدة.وقيل: ثم نُقِلَ إلى سويقة غالب.

السنة الرابعة وأربع مئة

فيها في يوم الخميس غُرَّة ربيع الأول انحدر فخر الملك إلى دار الخلافة، فلمَّا صَعِد من زَبْزَبه تلقَّاه أبو الحسن علي بن عبد العزيز ـ حاجبُ النعمان ـ والحُجَّاب والخَدَمُ، فقبَّل ابنُ حاجب النعمان الأرضَ بين يديه مراراً، وكذا مَن كان معه، وقُدِّمَتْ له دابَّةٌ ركبها من المَشرعة في المكان الذي نزل فيه عضد الدولة ودخل والحُجَّابُ بين يديه، وجلس القادرُ في القُبَّة، واستدعى فخرَ الملك، فوصل إليه، وجاء الناسُ على طبقاتهم، وامتلأَ المكانُ، فقال الخليفة: يا فخر الملك، امنَعْ من هذا الاختلاط. فأخذ دبُّوساً، وقام بنفسه، وردَّ الناسَ وأخرجهم، ووكَّل النُّقباء بباب القُبَّة، وقرأ أبو الحسن ابن حاجبِ النُّعمان عهدَ سلطان الدولة بالتقليد والألقاب، وكاتب عمادُ

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٢٤٧، والمنتظم ١٥/ ٩٦ ـ ٩٧.